بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الإسلام خاتمة الديانات الربَّانية، وقد أَرْسَى الله ورسوله فيه أسس حضارة إسلامية قويمة لسعادة البشرية، وهى تتوزع بين أسس عقيدية وأسس اجتماعية وأسس أخلاقية، مع السمو بالإنسان عن كل ما يشين حياته من المحظورات والموبقات. ولو أن هذه الأسس الإلهية انتظمت- في عصرنا- حياة الأمم لتوطدت فيها أركان السلام، ولعمَّت في جميع البقاع أخوة إنسانية لا تقف عند جماعة دون غيرها من الجماعات ولا عند وطن دون غيره من الأوطان ولا عند قارة دون غيرها من القارات.

وقد أخذت نفسي في هذا الكتاب بعرض تلك الأسس الربانية في الحضارة الإسلامية، وبدأتها بالأسس العقيدية مفتتحا لها ببيان نزول الوحي القرآني على الرسول صلى الله عليه وسلم طوال ثلاث وعشرين سنة إلى أن لبَّى نِداءَ ربِّه. والقرآن مائة وأربعة عشر سورة، والسورة مقدار معين من آيات القرآن، وهي تطول مثل سورة البقرة، وتقصر مثل سورة الكوثر. والآية مقدار محدود من كلام الله. وهو يحمل الرسالة الإلهية الأخيرة لسعادة البشرية في الدنيا والآخرة.

والله- في الإسلام- الاسم العام للذات العلية، ولله في القرآن أسماء حسنى كثيرة منها: القُدُّوس، السلام، المهيمن، الجبار، الخالق، المصوِّر، الرحمن، العالم، القادر، الغافر. وجوهر العقيدة الإسلامية وحدانيةُ الله وحدانيةً مطلقة في الذات فلا شريك له، وفي الصفات فلا تشبه صفاته صفات المخلوقين، وفي الأفعال فهو- وحده- خالق الكون ومدبِّر قوانينه، وفى العبادة فهو المعبود وحده ولا شريك له في عبادته، وهو منزَّه عن الشبه بالمخلوقين في الجسم وفي الأبوة والبنوة، لا يعلم الغيب سواه. وقد أقام الصلة بينه وبين عباده على المحبة، ومن قوله في حديث قدسي يحكيه الرسول عن ربه: "إذا تقرَّب العبد إليَّ شِبرًا تقرَّبتُ إليه ذراعا، وإذا أتاني مشيا أتيته هَرولة". وهو لطف وعطف ليس مثلهما عطف ولطف، ويقول الرسول: «هل الدين إلا الحب في الله» حبا يسمو بنفس المسلم ويملؤها إيماناً بالله وتقديساً لا يماثله تقديس.

وصَنَع الله رسوله محمدا صنعة ربانية مُثلى، وأرسله إلى العالم بشيرا ونذيرا وهاديا كما يهدى السراج الوضَّاء في الليل الداجي، رفيقا بأتباعه رءوفا رحيما، يعفو ويصفح عن أعدائه، ولا يشق على المسلمين في شريعته، متواضع لأفقر أصحابه، متحل بمحاسن الفضائل القرآنية ومثلها الرفيعة. وعنه حمل المسلمون سنته المشتملة لأحاديثه المبينة لآيات القرآن الكريم والمكملة للشريعة الإسلامية، إذ هي الأصل الثاني لها

بعد القرآن. وقد بُنى الإسلام على ستة أركان هي: الشهادة بوحدانية الله، والإيمان برسوله محمد ورسالته، وأداء الصلاة تقديسا لله، وأداء الزكاة لصالح الأمة العام ولكل بائس ومحروم، وصوم رمضان تطهيرا للنفس، وأداء الحج نُسكا لله وعبادة. والإيمان يشمل الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب السماوية والنبيين، وتقديمَ الصدقة للمحتاجين، كما يشمل أداء الفرائض والوفاء بالعهد والصبر الجميل. ويضع الله الكون بسمائه وكواكبها والأرض بزروعها تحت بصر الإنسان ليتأمل في نظامه وسننه وأسراره فيهديه عقله إلي أن له إلها واحداً صنعه بقدرته وحكمته. وحضارة الإسلام بذلك حضارة عقلية تحتكم دائماً إلي العقل. ومرارا وتكرارا يقول الله إنه سخر كل ما في الكون وذلله لنفع الإنسان واكتشاف قوانينه العلمية المبثوثة فيه، ويكرر أنه خلق الكون وكواكبه وكل ما فيه بصور بديعة من الحسن والبهاء مما يغذِّي روح الإنسان بالمتعة الجمالية. وأرسل الله لكل رسول غلي قومه إلا محمداً فإنه أرسله إلي الناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها، ليبلغهم الإسلام، فهو دين عالمي. وعالميته تتضح في دعوته لأصحاب الكتب السماوية أن يعتنقوه لتصحيح دياناتهم، وفى أنه طلب إلى المسلمين أن يكفلوا لجميع أصحاب الملل إلهية ووثنية غير إلهية في ديارهم حرياتهم الدينية في أداء شعائرهم وأن يصونوا لهم معابدهم وأموالهم ويتعايشوا معهم جميعاً معيشة كريمة.

وفى هذا المناخ الإسلامي الحضاري كان يجتمع ذوو الملل المختلفة في مجالس علماء الكلام بالبصرة وبغداد ويتجادلون ويتناظرون في نحلهم وعقائدهم بحرية تامة. ويأمر الله رسوله والمسلمين أن يأخذوا أنفسهم بالشورى في الحكم، ويصبح إجماع المسلمين لذلك أصلا ثالثا في الشريعة بعد القرآن والسنة ، وجعل الله ورسوله الاجتهاد في تبيُّن الأحكام في فروع الدين فريضة على كل مسلم، ولذلك عُدَّ الاجتهاد أصلا رابعا في الشريعة الإسلامية بعد القرآن والسنة والإجماع. واليُسْر جوهر راسخ في الإسلام وشريعته ، وكان الرسول دائما ينصح بعدم التشدد في الدين ويكثر من الرُّخص فيه تيسيرا على المسلمين، وكان يغضب حين يعلم أن أحد أصحابه يأبى إلا أن يشق على نفسه ولا يأتي إحدى الرخص، ويقول الدين يُسر لا عسر. وبالمثل يدعو الله والرسول إلى التوسط في عبادة الله، وسمَّي الله الأمة الإسلامية (أُمَّةً وَسَطًا) أي معتدلة بين الغلوّ في الدين والتقصير فيه ، ويقول الرسول أَوغِلْ في الدين برفق دون إرهاق أو عناء شاق.

وأمر الله رسوله والمسلمين أن لا يكرهوا أحدا على اعتناق الإسلام ، وصاغ في ذلك قانونا عاما التزم به المسلمون طوال عصورهم، وهو قوله عزَّ سلطانه: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي الإسلام ، بل يُترَك الناس

أحرارا وما اختاروا لأنفسهم من الدين إلهيًّا وغير إلهي. ودعا الله الرسول والمسلمين إلى التسامح مع أصحاب الديانات إلهية ووثنية أي حتى مع المشركين، فيتصدَّقون على فقرائهم كما يتصدَّقون على فقراء المسلمين ويحسنون معاملة أسراهم ويغفرون لمن آذوهم. وهو تسامح عظيم لم يعرف لأي دين ولا لأي أمة قديما أو حديثا مثل الأمة الإسلامية وشريعتها السمحة التي ابتغت وحدة الإنسانية وعملت على أن تعم المساواة البشرية. ودعا الله والرسول إلي أن يسود بين الناس العدل الذي لا تصلح حياة الأمم بدونه، وحثاً المسلم علي أن يكون عادلاً في أقواله وأفعاله ومع زوجته وأبنائه وأقاربه وجيرانه، وحتى مع أعدائه لتكون حياته حياة أمن وصفاء.

وحض الله والرسول المسلمين علي طلب العلم والتعلم، وفي ذلك نزلت أول آيات القرآن وتكررت فيه الإشادة بالعلم والعلماء وفضله الله في أوائل سورة البقرة علي تسبيح الملائكة إذ أمرهم بالسجود لآدم توقيراً لعلمه وفضل الرسول طلبه علي الجهاد وعلي النسك والعبادة. وبالمثل مجد الله العقل وطلب من الناس استخدامهم له في تأمل الكون ونظامه والإيمان بخالقه ومدبره، ونعي علي الكفار أنهم لا يستخدمون له في تأمل الكون ونظامه والإيمان بخالقه ومدبره ونعي علي الكفار أنهم لا يستخدمون عقولهم فمثلهم مثل الأنعام التي لا تعقل. وأبطل الله ورسوله الإيمان بالخرافات والسحر والتنجيم وكل ضروب الشعوذة ارتفاعاً بعقل الإنسان عن الأوهام الباطلة.

والحضارة الإسلامية- بذلك- حضارة تقدس العقل والعلم فهي حضارة علمية عقلية إلي أقصي الحدود. وليس بصحيح ما يزعمه خصوم الإسلام من أنه يدعو المسلمين إلي الإيمان بالجبر والإذعان للقدر، فآيات القرآن تكرر أن الإنسان يختار- بمحض إرادته- هداه وضلاله، وأنه يحاسب على جميع تصرفاته في دنياه بتشريعات الإسلام في الحدود والجنايات، وفي الآخرة بحسابه على أعماله في حياته، فإما إلي النعيم وإما إلي الجحيم.

وحث الله والرسول المسلمين مراراً وتكراراً على التقوى، وهي عبادة الله حق عبادته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، مع الامتناع عن الشهوات الحسية. وحض الله ورسوله المسلمين على التوكل الصادق على الذات العلية، وهو غير التواكل الذميم، وقديماً توكل إبراهيم الخليل على ربه حين ألقي في النار، فاستحالت برداً وسلاماً. ونوه الله ورسوله باستشعار العبد الخوف من عذاب ربه وخشيته في أعماقه. ويفتح الله أبواب غفرانه لمن يرجو منه المغفرة بنية صادقة مهما كانت ذنوبه، وبالمثل يفتح أبواب غفرانه على مصاريعها للتائب مهما كانت ذنوبه كبيرة، ويقول الرسول إنه ليفرح بتوبة عبده أكثر من فرحة

الأعرابي يضل منه بعيره في الصحراء ثم يجده فجأة.

وبجانب الأسس العقيدية الحضارية أسس اجتماعية حضارية لمصلحة البشرية والأمة الإسلامية، وأبدؤها بطلب الله ورسوله من المسلمين نسر تحية السلام بينهم وأن يكرروها في الصلوات الخمس. والإسلام- بذلك- أول داع للسلام منذ أربعة عشر قرناً، وتأكيداً لهذه الدعوى جعل الله السلام اسماً من أسمائه الحسنى، وسمى الجنة دار السلام. ويستحب الإسلام البشر والمصافحة عند لقاء الإخوان. ووضع لمن يزور شخصاً آداباً حضارية يلتزمها في زيارته، ووضع له آدابا مماثلة في دخول المجالس والجلوس بها والحديث فيها. ويأمر الله المسلمين أن تكون بينهم جماعة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر. ومع تطور الجماعة الإسلامية جعل ذلك إلي أولى الأمر للقيام عليه وتطبيقه. ويقرن الله في القرآن الأمر بعبادته بالأمر برعاية الوالدين وبرهما تشريفاً لهما، ويكرر الله والرسول الدعوى إلي هذا البر مراراً، وبالمثل بر الزوجة والأبناء والأقارب توكيداً لروابط الأسرة. وأوجب الله والرسول على الرجل حقوقاً كثيرة للمرأة، وقال الله إنهما من أصل واحد وهو آدم، جلباً للائتلاف والائتناس، وحقاً جعل للذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث غير أن ذلك لما يتحمله الرجل من أعباء في الحرب وفي الزواج وفي معيشة الأسرة، وحقاً أيضاً أنه رخص للرجل في الزواج بأكثر من واحدة، غير أن في ذلك درءاً لمفاسد اجتماعية كثيرة. وقد كفل الإسلام للمرأة- دون جميع الديانات والحضارات- التصرف التام في أموالها، وأوجب لها على الزوج المودة والرحمة.

وأَرْسى الإسلام قواعد أخوة وثيقة بين المسلمين، فالمسلم يبرُّ أخاه ويمد إليه يد العَون متكافلاً معه اجتماعيا واقتصاديا. وبالمثل أرسى الإسلام قواعد مساواة تامة بين المسلمين فلا فرق بين غني وفقير في الحياة، كما لا فرق بينهما في الصلاة والصوم وأداء الحج وملابس الإحرام. وهى مساواة تجعل من المسلمين أمة واحدة يسند بعضها بعضا ويدعمه. وينهى الإسلام نهيا مكررا عن البطالة والكسب، ويدعو المسلم إلى العمل وأن يسعى لكسب عيشه، حتى لا يكون عالة على المجتمع، وحتى لا يتكفف الناس سائلا منهم العَون. وشَدَّد الرسول في الرفق بالعمال وإعطائهم الأجور المجزية. وأوصى الله والرسول بالصدقة على الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل وجعلها الله قرضا له يتضاعف جزاؤه إلى سبعمائة ضعف. وفرض على المتصدق آدابا فلا يؤذى الفقير ولا يمنُّ عليه، ويقول الرسول إن الصدقة وقاء من النار مهما كانت قليلة، حتى لو كانت بنصف تمرة. ونوَّه الله والرسول بأمانة المسلم وألزما المؤتَمَن أن يؤدى الأمانة إلى صاحبها في موعدها المحدد، وإن أنكرها كانت خيانة عظمى وإثما كبيرا. ودعا الله

والرسول إلى الوفاء بالعهد: عهد الله في عبادته، وعهد الزوجة والأبناء في رعايتهما، وعهد الأفراد في العلاقات، وعهد الأمم في المعاهدات. وبالمثل دعا الإسلام إلى أداء الحق في عبادة الله وأداء حقوق الأسرة والمجتمع والأمة، وسمَّى نفسه الحقَّ تشريفا له. وجعل الإسلام الجهاد ضد الأعداء فريضة على كل مسلم حماية لدينه ووطنه وأمته. ومجَّد الله والرسول العفو عن الإساءة مهما عظمت وحتى عن إساءة المشركين، وحثَّا على الرفق والتلطف في الكلام تحببا إلى الناس وأن يلقى المسلم أخاه بالسلام والبشر والكلمة الطيبة.

وأوصى الله والرسول بالبَّر والمواساة للمحتاجين، وأعظم مواساة تمت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم مواساة الأنصار للمهاجرين إليهم من المال والحقِّ والميراث، وإيثار المسلمين أسرى المشركين بالطعام والغذاء. والإسلام يكتظ بالرحمة في شريعته بين الناس بحيث يتراحمون ويتعاطفون وتمتلئ قلوبهم شفقة ورأفة لا على الإنسان فحسب، بل أيضا على الحيوان، فلا يجوز أن يشقِّ المسلم على دابَّة فيما تحمل، فضلا عن أن ينالها بأي صورة من صور الضرب المؤلم. وحثَّ الله والرسول وصيَّ اليتيم على رعايته رعاية حسنة، وأن لا يأخذ من ماله ما يتجاوز أجر كفالته وقيامه على ماله، وأن يردَّ على اليتيم ماله حين يصبح راشدا، ويتوعَّد الله آكل مال اليتيم بالجحيم عقابا له. وأوصى الله والرسول بالضيف وحسن استقباله وإكرامه، كما أوصيا بالجار وما له من حقوق الجوار، ويقول الرسول: الجار ثلاثة: جار مشرك له حق واحد هو حق الجوار، وجار مسلم وله حق الجوار وحق الإسلام، وجار مسلم من ذوى الرحم، وله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم. ودعما لأواصر التعاطف بين المسلمين أوصى الرسول مراراً بزيارة المرضى توثيقا للمودة مع المريض وأهله، كما أوصاهم بالمشاركة في تشييع الجنازات والصلاة على الميت مواساة لأهله، وكان الرسول يزور القبور للدعاء للموتى وللاعتبار أو العبرة. وحثَّ الله والرسول المسلمين مرارا على فعل الخير لإخوانهم من المسلمين وأيضا لأعدائهم من المشركين، إذ إلا سلام دين عالمي يجمع كل البشر تحت لوائه.

وهذه الأسس الاجتماعية في الحضارة الإسلامية تسندها أسس أخلاقية حضارية، منها ما دعا الله والرسول إليه من إخلاص النية لله في عبادته وفى كل ما يصنع المسلم من أعمال خيِّرة، ويقول الرسول لو نوى المسلم نصع حسنة ولم يصنعها كُتبت له حسنة، فإن صنعها وأداها كتبت له عشر حسنات. والله بذلك يجزى على النية وإن لم يتبعها العمل. ويحث الله والرسول المسلم على استشعار العزة واعتزازه بكرامته، وأن لا ينطق دائما إلا بالحق ويجهر به ولا يخشى فيه لومة لائم، وبالمثل يحثان المسلم على التمسك

دائما بالصدق، وبالنصح المخلص لمن يطلب النصيحة ولأئمة المسلمين عند الحاجة فيما ينهضون بـه مـن مصالح الأمة. ومجَّد الله والرسول التواضع لأنه يوثق المودة بين المسلم وأخيه إذ لا يزهو عليه ولا يستعلي مهما كان ثريا أو من أسرة رفيعة، بل يخفض له جناحه، ويتواضع تواضعا كريما يؤكد الأخوة التي أرداهـا الله والرسول للمسلمين. وأوصى الرسول بالحياء الذي يجعل المسلم يترفع عن الدنايا ويتحلى بالفضائل. وحث الله والرسول على العفاف، وهو الكف عما لا يحلّ من المحظورات كفا تاما.

وأوصى الله والرسول بالحِلمْ وكظم الغيظ عند الغضب، ويقول الرسول: ليس الشديد من يغلب في المصارعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب. وحث الله والرسول المسلم على استشعار الـصبر، وهو أقسام: صبر على أداء الطاعات وامتثال أوامر الله، وصبر عن ارتكاب المعاصي المحرَّمة، وصبر عـلى ما ينزل بالمسلم من الخطوب والمحن، وصبر في الحرب وجهاد الأعداء، والـصابر في كـل ذلـك مـأجور ومثاب.

وأوصى الله والرسول بكتمان السر وأن لا يذيعه من اؤتمن عليه، وقديما قيـل: سِرُّك مـن دَمِـك فـلا تُفشه إلا إليك. وبالمثل أوصيا بالستر على ذنوب المسلمين، ويقول الرسول: مـن يـستر ذنبـا أو إثـما عـلى مسلم فلا يذيعه ولا يفضحه به فإن الله يستره في الـدنيا والآخـرة. وامتـدح الله والرسـول القناعـة، وأن يرضى المسلم باليسير والعيش الكفاف وأن لا ينظر إلى ثـراء الأغنيـاء متمنيـا أن يكـون مـثلهم، فـالثراء الحقيقي ليس ثراء المال وإنما ثراء النفس بالتقوى. ويـذكر الله الـرزق في القـرآن مـرارا وهـو مـا يحـصل الشخص عليه بعمله لسد ضروراته وحاجاته في معيشته، وهذا هو الرزق الظاهر لمنفعة الأبدان، ويقابله رزق باطن لمنفعة العقول. ويقول الله إنه يبسط الرزق ويوسِّعه على من يشاء، ويقترِّه ويقلِّله على من يشاء لما له في ذلك من الحكم. وينبغي على الشخص الرضا بما قسم الله له من زرق فهـو صـاحب الأمـر كلـه. وحث الله والرسول المسلم على العمل الصالح من عبادة الله والتمسك بتعاليم شريعتـه وبحـسن الخلـق والمعاملة الطيبة وببرِّ الفقراء والمحتاجين. وكلُّ ما ينهض به المسلم من العمـل الـصالح يجزيـه ربـه عنـه الجزاء الأوفى.

وبجانب الأسس الحضارية السابقة الأخلاقية والاجتماعية والعقيدية محظورات تُعَدّ جزءا لا يتجـزَّأ من الحضارة الإسـلامية، والأصـل في الأشـياء أنهـا حـلال، وإلا مـا نـصَّت الـشريعة عـلى أنـه حـرام، فالمطعومات مثلا مباحة إلا ما نص عليه الله ورسوله من الطعام الخبيث المذكور في سـورة المائـدة، ومنـه الميتة والدم ولحم الخنزير. وبجانب هذه المحظورات مـن الطعـام المحـرم محظـورات أخـرى حرَّمهـا الله

ورسوله ارتفاعا بحياة الإنسان وتطهيرها من جميع الموبقات، وفى مقدمتها "الزنـا" كبـيرة الكبـائر الـذي ينتهك فيه الشاب أو الرجل حرمة فتاة عذراء أو سيدة ويصمهما بالعار. ويقول الرسول: ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم من الزنا ولذلك شدَّد الإسلام فيه الحدَّ أو العقوبة على الرجل والمرأة.

ومن الكبائر الرِّبا، وهو كل قرض يؤخذ به أكثر منه، وتوعد الله ورسوله صاحبه بعذاب الجحيم في الآخرة لابتزاز أموال المحتاجين بدون عوض. وليس من الربا استثمار المال في البنوك، لأن صاحبه يصون ماله ويحفظه في البنك، وتعود له فائدة منه تعينه في معيشته وحياته. ومن الكبائر تعاطى الخمـر والميـسر، والخمر كل شراب مسكر، وحرَّمها الشارع لتخديرها العقل وتعطيله، ولما تدفع إليه من الغواية، ولإنفاق المال عبثا، وكان عمر بن الخطاب يقيم الحدَّ على شاربها حتى يكفَّ عنها. ومثلها في التحريم والتشديد فيه الميسر أو القِمار لتضييع المال عبثًا، ولما يصحبه من العداوة والبغضاء بين المتقامرين. ومن الكبائر الظلـم في حقوق الله ورسوله أو في حقوق الآباء والزوجة والأبناء والأقارب أو في حقوق الناس، وكان الرسول يحذر من الظلم وعذابه في الآخرة، ويقول إن دعوة المظلوم ليس بينها وبـين الله حجـاب. ومـن الكبـائر الكبر والعُجب، والكبر: التعاظم على الناس والشعور بالاستعلاء علـيهم، ويقـول الرسـول: لا يـدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. والعُجب زَهْوُ الإنسان بنفسه أو بأدبه أو بعلمه مستشعرا الخيلاء وأنه فوق الناس. ومن الكبائر الكبرى شهادة الزور، وهو الباطل قولا أو فعلا يشهد الشاهد به على غيره افتراء وبهتانا، وقَرَنه الرسول إلى الشرك بالله، بل قرنه به رب العزة في سورة الفرقان" ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ثم قال بعدها: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

ومن الذنوب الكبرى الحسد، وهو تمني الشخص زوال نعمة غيره أو تحويلها إليه دونـه، وهـو غـير الغبطة إذ هي تمنى الشخص أن تكون له النعمة التي يراها لغيره دون تمنـي زوالهـا عنـه. ومـن الـذنوب الكبرى الكذب وإذا اشتهر به شخص سقط من أعين الناس ولم يصدِّقوا له نبأ ولا خبرا، وقد يصبح من الكبائر إذا أخبر صاحبة شخصا يكرهه- كيدا له- عن فجيعة كذبا، أو كذب عـلى الله ورسـوله، ويقـول الرسول: من كذب عليَّ- متعمدا- فليتبوَّأْ مقعده من النار. وشـدَّ الله والرسـول في اليمـين الكاذبـة وأن إثمها عند الله كبير، أما يمين اللغو فمعفوٌّ عنها. ومن الذنوب الكـبرى الخـداع، وهـو إخفـاء مـا ينبغـي إظهاره للشخص بقصد إلحاق المكروه به، ومنه الغشّ في البيع، ويقول الرسول ليس منا من غشَّنا. وشدَّد الرسول في اللعن للمسلم وسَبِّه وشتمه، وكرر النهي عنه حتى مـع الخـادم، وحتـى مـع الحيـوان، ومـن المحرمات الظن السيئ بالمسلم لما قد يؤدى إليه من تهمة كاذبة. ومن أسوأ صـور التجـسس الأثـيم عـلى

المسلم ما يؤدى إلى معرفة عورة له، فيذيعها المتجسس وكان ينبغي أن يسترها، ويقول الرسول: من ستر على أخيه المسلم عورة فكأنما استحيا موءودة من قبرها. والتجسس المذموم هو الذي يراد به الكيد ومعرفة العورات، أما تجسس الشرطة على الجناة والتجسس على الأعداء فمحمودان. ومن المحرمات الغيبة، وهى التحدث عن شخص غائب بما يسوءه، ومثَّل الله من يغتاب أخاه المسلم بآكل لحم أخيه الميت تفظيعا للغيبة وما ينتظر صاحبها يوم القيامة من العذاب الأليم، وأسوأ من الغيبة النميمة التي تبتر المودات بين الناس وتحدث بينهم العداوات، ويقول الرسول: لا يدخل الجنة نمَّام. ومن المحظورات المحرمة سخرية المسلم بأخيه المسلم استهزاء به لما في ذلك من الإهانة له والإزراء الشديد به. ومثلها الشماته وهى الابتهاج بمحنة تنزل بمسلم، وبدلا من أن يمد الشامت يده لأخيه عونا له ومساعدته حيت تقع به كارثة أو محنة يشمت به ويبتهج كما يشمت الأعداء ويبتهجون. وكل أولئك لن يفلتوا من عذاب الله وعقابه.

تلك- بإيجاز- الأسس الإلهية للحضارة الإسلامية التي بثَّها الله ورسوله في دين الإسلام خاتمة الديانات الربانية لإنقاذ البشرية من مهاوى الضلال والانحراف وردِّها إلى الهدى والتآلف والتعاون والمودة. والمسلمون- في عصرنا- جديرون بأن يعودوا إلى التمسك في حياتهم بتلك الأسس جميعا كما تمسك بها آباؤهم الأولون فدانَ لهم العالم وفتحت لهم الأمم ديارها من الهند وأواسط آسيا شرقا إلى المغرب الأقصى وإسبانيا غربا، وتعايشوا مع سكان تلك الديار جميعا معيشة كريمة قرونا متعاقبة عمَّ فيها السلام والأمن والرخاء للبشرية.

وإني لمؤمن أشد الإيمان بأن هذه الأسس الحضارية التي أهداها الله للعالم في دين الإسلام خاتمة الديانات لابد أن تسود- يوما- حياة الأمم في الأرض شرقية وغربية، وتخلِّص الإنسان من المطامع المادية ومن زلازل الإباحية والانحلال الخلقي، وتُرَدّ إليه روحه الربانية، ويعيش الناس في جميع ديارهم متوادين معيشة إخاء وأمان وبرٍّ وعدل ورحمة وعفاف وعفو ورفق وتسامح ومواساة، مع الكفِّ عن المحظورات المحرمة والأخلاق الذميمة الضارة.

وقد التزمت مع عرض كل أساس إلهي من أسس الحضارة الإسلامية أن أستهلَّه بآيات من القرآن الكريم تصوِّره ومعها سورها ورقم الآية في السُّوَر وأتبعها بأحاديث من السنة النبويَّة تبين معانيها بتأييد إلهي محكم مع تعليقات لي، من فيض إشعاعاتها المضيئة. وأفدت في الكتاب فوائد واضحة من كتاب التفسير وخاصة تفسير ابن كثير، وبالمثل من كتب السنة الشريفة وخاصة من كتاب رياض الصالحين من

كلام سيد المرسلين للإمام النووي وكتاب المؤطأ لمالك والمسند لابن حنبل وكتب الصحاح الستة وفى مقدمتها صحيح البخاري وصحيح مسلم. وكل ما كتبته وعلَّقت به في الكتاب إنما هو محاولة بدائية في بيان أسس الحضارة الإسلامية. ولا أشك في أنه ستتلوها محاولات وبحوث خصبة أكثر استفاضة وعمقا، والله أسأل أن يلهمني السداد والإخلاص في الفكر والقول والعمل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

القاهرة في ١٥ من شوال سنة ١٤١٧هـ.

شوقى ضيف

obeikandl.com